الخلافة

كانت لى نفس تواقة .. فكنت لا أنال شيئا الا تاقت الى ما هو أعظم منه .. فلما بلغت نفس الغاية تاقت الى الآخرة .

عمر بن عبد العزيز

obeikandl.com

obeikandl.com

اليوم الأول

غسل سليمان وكفن ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ٠٠ فلما دفن ، خرج عمر من قبره ٠٠ واذا بالارض تهتز وترتج واذا صهيل وضجيج ونظر فاذا المراكب من خيل وبراذين وبغال ، وهى مطهمة منمقة ولكل دابة سائس ٠٠ فقال : ماهذا ٠٠ ؟! قالوا :

ـ مراكب الخلافة يركبها الخليفة الأول أول ما يلى :

فقال عمر :

دابتى أوفق لى ٠٠ وركب بغلته ، وصرف تلك الدواب ٠٠ وقال لتابعه مزاحم :

ـ يا مزاحم ، ضم هذا الى بيت مال المسلمين ٠٠

ونصبت له سرادقات وحجر ٠٠ فقال : ما هذه ٠٠ ؟ فقالوا :

ـ سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط ٠٠ يجلس فيها الخليفة أول ما يلى ٠ قال :

ـ يا مزاحم ٠٠ ضم هذا الى أموال المسلمين ٠٠ ثم انصرف الى الفراش والوطاء الذى لم يجلس عليه أحد قط ٠٠ يفرش للخلفاء أول ما يلون الحكم ٠٠ فجعل يدفع ذلك برجله حتى

obeikandl.com

يفضى الى الحصير .. ثم أشار الى مزاحم أيضا أن يبيعهـــا ويدخل أثمانها فى بيت مال المسلمين .. ثم أقبل عمـــر .. فقيل له :

ـ تنزل منزل الخلافة ؟ فقال عمر :

ـ فيه عيال أبى أيوب (يعنى سليمان ؟) .. وفى فسطاطى كفاية حتى يتحولوا فأقام فى منزله حتى فرغوا منه .

وأخذ عيال سليمان وأهله يفرغون الأدهان والطيب من قارورة الى أخرى، ويلبسون ما لم يلبس من جديد من الثياب أو تتكسر .. وكان الخليفة اذا مات .. فما لبس من الثياب أو مس من الطيب كان لولده وما لم يلبس من الثياب وما لم يمس من الطيب فهو للخليفة من بعده ..فلما أن جاء عمر .. قال له أهل سليمان :

ـ هذا لك .. وهذا لنا .. قال لهم :

ـ وما هذا ، وما هذا .. ؟ قالوا :

ـ هذا مما لبس الخليفة من الثياب ومس من الطيب فهو لولده ، وما لم يمس ولم يلبس فهو للخليفة بعده وهو لك ..

فقال عمر :

ـ ما هذا لى ، ولا لسليمان ، ولا لكم .. ولكن يا مزاحم ضم هذا كله الى بيت مال المسلمين .. ففعل .

فصدم الوزراء والكبراء .. وعمتهم الدهشـــة وأصابتهم الرجفة على عزهم ومكانتهم .. فتآمروا فيما بينهم فقالوا .

ـ أما المراكب والسرادقات والحجر والفراش واللباس فليس فيه رجاء بعد أن كان منه فيه ما قد علمتم .. وبقيت خصلة وهى الجوارى نعرضهن فعسى أن يكون ما تريدون فيهن فان كان .. فخيرا .. والا فلا طمع لكم عنده .. فأتى بالجوارى فعرضن عليه كأمثال الدمى .. فلما نظر اليهن جعل يسألهن واحدة واحدة .. من أنت ؟ ولمن كنت ؟ ومن بعث بك .. ؟ فتخبره الجارية بأصلها ولمن كانت وكيف أخذت فأمر بردهن الى أهلهن وحملهن الى بلادهن .. فلما رأوا ذلك أيسوا منه .. وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق ..!

★★★

ودخل عمر على زوجه فاطمة بنت عبد الملك وقال :

ـ ان أردت صحبتى فردى ما معك من مال وحلى وجوهر الى بيت مال المسلمين .. فانه لهم .. وأنا لا أجتمع أنا وأنت وهو فى بيت واحد . فردته جميعه ..

★★★

وروى عنه أنه حين أفضت الخلافة اليه سمع بكاء فى داره فسئل عنه فقالوا :

ـ خير أمير المؤمنين امرأته بين أن تقيم معه فى منزله ـ واعلمها أنه قد شغل عن النساء بما فى عنقه ـ وبين أن تلحق بمنزل أبيها .. فبكت فبكى جواريها لبكائها ..

وبعد أن انتهى من دفن سلفه سليمان وأوى الى داره طلب من رجاء بن حيوه أن يحضر له كاتبا .. فأملى عليه كتابا واحدا

وأمره أن ينسخ منه نسخا ويرسلها الى عماله فى كل بلد ..
وكذلك كتب كتبا أخرى لم يسعه فيما بينه وبين الله عز وجل أن يؤخرها فأمضاها من فوره حتى لقد غمـــزه بعض الناس فقالوا : ما هذه العجلة .. ؟ أما كان يصبر قليلا ؟ هذا حب السلطان .. ولم يكن عمر متعجلا ولا محبا للسلطان ولكنـه عرف المسئولية وحاسب نفسه ورأى أن تأخير ذلك لا يسعه.

كتب الى مسلمة بن عبد الملك أن يقفل من غزو القسطنطينية .. وقد كان سليمان أغزاه اياه برا وبحرا وأشرف على فتحها .. ثم خدعه المدافعون عنها ، حتى أحرزوا طعامهم وحوائجهم، ثم أغلقوا المدينة دونه بعد أن أوشك على فتحها فبلـــغ ذلك سليمان فغضب وحلف أن لا يقفله منها ما دام حيا .. فاشتد المقام على مسلمة وجنوده .. وجاعوا حتى أكلوا الدواب من الجهد والجوع .. حتى ليتنحى الرجل عن دابتـــه فتقطـــع بالسيوف .. فبلغ رأس الدابة كذا وكذا درهما .. وتعنت سليمان فى أمرهم فلم يعدهم .. فكان ذلك يغم عمر .. فلما ولى الخلافة رأى أنه لا يسعه فيما بينه وبين الله أن يلى شيئا من أمور المسلمين ثم يؤخر قفلهم ساعة .. وذلك الذى حمله على تعجيل الكتاب ..

وكذلك لم يصبر على ابقاء من كان متوليا وقتئذ على خراج مصر .. وكان يعرف عنه أنه غاشم ظلوم .. فجعل عمر كتابا بعزله وحبسه ..

وظل عمر فى ليلته الأولى فى الحكم يبعث بالكتب ويصرف

الأمور دون أن يعرف للنوم أو للراحة طعما ..

وطلع نهار اليوم التالى ، فأراد عمر أن يذهب ليستريح ويتبوأ مقيلا فأتاه ابنه عبد الملك .. وكان فى الرابعة عشرة من عمره مؤمنا ورعا فقال لأبيه :

ـ يا أمير المؤمنين .. ماذا تريد أن تصنع .. فقال :

ـ أى بنى ، أقيل .. قال :

ـ تقيل ولا ترد المظالم ؟! فقال عمر :

ـ أى بنى ، انى قد سهرت البارحة فى أمر عمك سليمان فاذا صليت الظهر رددت المظالم .. قال الابن :

ـ من لك أن تعيش الى الظهر ؟!

فوجم الأب ، وسرت فى جسده رعدة الايمان وقال :

ـ ادن منى يا بنى ..

فدنا منه عبد الملك ، فعانقه وقبله بين عينيه وقال :

ـ الحمد لله الذى أخرج من صلبى من يعيننى على دينى ..

وخرج دون أن يذوق راحة ، وأمر مناديه أن ينادى :

الا من كانت له مظلمة فليرفعها .. فجعل لا يدع شيئا مما كان فى يد سليمان وفى أيدى أهل بيته من المظالم الا ردها مظلمة مظلمة ..

الحقوق الى أربابها

جاءت الى عمر امرأة من أهل الكوفة .. تشكو أنها لم يصبها هى ولا بناتها مما قسم أمير المؤمنين قليل ولا كثيرا فقال :

ـ فلترجع الى حتى العشاء فأكتب لها .. ثم قال : مه ! لعلى لا أبلغ العشاء .. فلتدخل على فاطمة بنت عبد الملك ..

فبينما هى عند فاطمة اذ قام عمر فسكب وضوءا لنفسه فقالت المرأة لفاطمة بنت عبد الملك :

ـ ألا تأخذين عليك ثيابك من هذا الرجل يرى رأسك مكشوفا ؟

فقالت لها فاطمة :

ـ ألا تعرفين هذا ٠٠؟ انه زوجى أمير المؤمنين يسكب لنفسه وضوءا ٠٠ !

ثم دعاها عمر وأجرى لها كتابا ٠٠

***

ولم يكن عمر فى رد المظالم متعجلا فقط ٠٠ بل كان دقيقا فى احقاق الحقوق كاملة ٠٠

جاءه رجل على راحلة يشكو اليه عدى بن أرطأة فى أرض له ٠٠ فقال له عمر :

ـ أما والله ما غرنا منه الا بعمامته السوداء ٠٠ أما أنى قد كتبت اليه فضلا عن وصيتى : (انه من أتاك ببينة على حق هو له فسلمه اليه) ثم قد أتعبك وعناك الى ٠٠ وأمر عمر برد أرضه اليه ثم قال له :

كم أنفقت فى مجيئك الى ٠٠ ؟ قال :

ـ يا أمير المؤمنين ، تسألنى عن نفقتى وأنت قد رددت على أرضى وهى خير من مائة ألف ٠٠ ! فقال عمر :

ـ انما رددت عليك حقك ٠٠ فأخبرني كم أنفقت ٠٠ ؟ قال:

— ستون درهما .. فأمر عمر له بها من بيت المال .. فلما ولى صاح به عمر .. فرجع فقال له : خذ هذه خمسة دراهم من مالى فكل بها لحما حتى ترجع الى أهلك ان شاء الله ..

***

وكان من بين المتظلمين رجل ذمى من اهل حمص أبيض الرأس واللحية جاء يتظلم من رجل من بنى أمية هو ابن عم عمر بن عبد العزيز .. قال الذمى :

— يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله .. قال :

— وما ذاك .. ؟ قال :

— العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبنى أرضى . وكان العباسى جالسا فسأله عمر عنها فأجاب العباس :

— أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، وكتب لى بها سجلا .

فقال عمر ما تقول .. يا ذمى .. ؟ قال :

— يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل .. فقال عمر :

— كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك .. أردد عليه يا عباس ضيعته .. فردها عليه ..

بهذه الروح كان يقضى عمر .. ويرد الحقوق الى أربابها حتى ولو كان صاحب الحق غير مسلم . ولو كان من عليه الحق من أبناء عمومته .. بل لو كان من عليه الحق عمر نفسه .. !

قدم اليه رجل من حلوان ، يقدم له شكايته يدعى لنفسه أرضا قال انها جاءت فيما أقطع عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز لما كان واليا على مصر . فلما توفى عبد العزيز ورثها عمر واخوته .. فقال عمر :

ـ ان لى فيها شركاء ، أخوة واخوات ، لا يرضون أن أقضى فيها بغير قضاء قاض .

وقام معه الى القاضى فقعد بين يديه .. فتكلم عمر بحجته وتكلم المدعى فقضى القاضى للمدعى .. فقال عمر :

ـ ان عبد العزيز قد أنفق عليها ألف ألف درهم .. فقال القاضى :

ـ قد أكلتم من غلتها بقدر ذلك

فثلجت نفس عمر بحكم القاضى ثم قا ل:

ـ وهل القضاء الا هذا ، تا لله لو قضيت لى ما وليت لى عملا وأعاد الى الرجل حقه .. !

تنازله عن أملاكه

وهكذا تنازل عمر عما ورثه من حلوان .. بل كان يظن أن ما ورثه عن أبيه وأهله .. وما ورثه آل بيته أيضا لم يكن بالطرق المشروعة .. فرغب فى التخلص منه .. ورأى أن العدل الخالص يقتضى رده على من أخذ منه .. وأراد أن يبدأ بنفسه فاستشار تابعه وصاحبه مزاحم قائلا :

ـ يا مزاحم ان هؤلاء القوم قد أعطونا عطايا .. والله ما كان

لهم أن يعطونا اياها ، وما كان لنا أن نقبلها .. وأن ذلك قد صار الى ، ليس على فيه دون الله محـــاسب .. ففهم مزاحم قصده ، وخاف ع لى أولاده من بعده فقال :

ـ يا أمير المؤمنين .. هل تدرى كم ولدك .. ؟ هم كذا وكذا .. فذرفت عينا عمر وقال :

ـ أكلهم الى الله .. !

وانطلق مزاحم حتى استأذن على عبد الملك فى ساعة من ساعات القيلولة ، فسأله عبد الملك :

ـ ماجاء بك يامزاحم هذه الساعة .. أحدث حدث؟ قال مزاحم:

ـ أشد الحدث عليك وعلى اخوتك وذكر له ما قاله عمـــر وكيف ذكره بأولاده وكثرتهم .. فسأله عبد الملك :

ـ ماذا قال له ؟ .. قال :

ـ جعل يستدمع ويقول : أكلهم الى الله تعالى .. قال عبد الملك :

ـ بئس الوزير أنت يا مزاحم !

ثم وثب عبد الملك .. فانطلق الى باب أبيه فاستأذن عليه فقال له الآذن :

ـ ان أمير المؤمنين قد وضع رأسه للقائلة ، أما ترحمونه فى ساعة راحته فصاح فيه عبد الملك :

ـ استأذن لى .. وسمع عمر النقاش وعرف أنه عبد الملك فأن له ، فدخل على أبيه وقد اضطجع ليستريح فقال عمر :

ـ ما حاجتك يا بنى هذه الساعة ؟ قال :

***

ـ حديث حديثه مزاحم ٠٠ قال عمر : فأين وقع رأيك من ذلك ٠٠ ؟ قال الابن :

ـ وقع رأيى على انفاذه

فسر عمر وزاده غبطة حرص ابنه على أن ينفذه عاجلا ٠٠ فأمر مناديه أن ينادى ٠٠ الصلاة جامعة ٠٠ ثم خرج عمر الى المسجد والناس مجتمعة ، وأعلن من فوق المنبر :

ـ أن هؤلاء القوم (يعنى أهله) أقطعونى ما لم يكن لى أن آخذه ولا لهم أن يعطونى ٠٠ الا وانى قد رددتها وبدأت بنفسى وأهل بيتى ٠

★★★

وخرج عمر عما كان تحت يده من قطائع وضياع فحرق سجلاتها وردها الى المسلمين حتى بقيت مزرعتا خيبر والسويداء ٠٠ فسأل عن خيبر من أين كانت لأبيه ؟

قيل له :

ـ كان رسول الله قد تركها فيئا للسلمين وظلت كذلك فى عهد أبى بكر وعمر ، ثم عثمان بن عفان فأعطاها مروان بن الحكم فأعطاها مروان أباك ٠٠ ثم أعطاكها أبوك

فحرق عمر سجل خيبر وأعادها فيئا للمسلمين كما تركها رسول الله

أما مزرعته (السويداء) فهى التى أبقاها لنفسه ، اذ كان قد استنبطها بعطائه وكانت تأتيه غلتها كل عام فيصرف منها على نفسه وأهل بيته ويعطى منها للناس ٠٠

★★★

غضبة بنى أمية

وغضب بنو أمية على عمر لأنه أقبل على رد مظالم الناس وقطع عن بنى أمية جوائزهم ، وصرف لهم مرتبات ضئيلة بالنسبة للمرتبات الباهظة التى كانت تخصص لهم فى عهود الخلفاء السابقين ..

جاءت عمة له الى فاطمة امرأته فقالت : انى أريد كلام أمير المؤمنين .. قالت لها : اجلسى حتى يفرغ .. فجلست فاذا بغلام قد أتى فأخذ سراجا فقالت لها فاطمة :

ـ ان كنت تريدينه فالآن ؟ .. لأنه اذا كان فى حوائج العامة كتب على الشمع ، واذا صار الى حاجة نفسه دعا بسراجه . وقد أتى الغلام فأخذ سراجه ..

فقامت العمة فدخلت عليه .. فاذا بين يديه أقراص وشىء من ملح وزيت وهو يتعشى فقالت :

ـ يا أمير المؤمنين ، أتيت لحاجة لى .. ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتى .

عمر ـ وما ذاك يا عمة .. ؟

ـ لو اتخذت لك طعاما ألين من هذا .. !

ـ ليس عندى يا عمة ، ولو كان عندى لفعلت ..

ـ يا أمير المؤمنين كان عمك عبد الملك يجرى على كذا وكذا .. ثم كان أخوك الوليد فزادنى ، ثم كان أخوك سليمان فزادنى .. ثم وليت أنت فقطعته عنى .. ؟ فقال عمر :

ـ يا عمة .. ان عمى عبد الملك ، وأخى الوليد وسليمان ،

كانوا يعطونك من مال المسلمين ، وليس ذلك المال لى فأعطيكه ·· ولكنى أعطيك من مالى ان شئت ··

ـ وما ذاك يا أمير المؤمنين ·· ؟

ـ عطائى مائتا دينار فهل لك ·· ؟

ـ وما يبلغ منى عطاؤك ·· ؟

ـ فلست أملك غيره يا عمة ··

فانصرفت عنه ·· !

☆☆☆

وكان للوليد بن عبد الملك ابن يقال له روح ، فأتى رجل الى عمر بن عبد العزيز يخاصم روحا فى حوانيت بلدة حمص ، فقال له عمر : رد له حوانيته ·· قال له روح : هـــذا معى بسجل الوليد ·· قال عمر :

ـ وما يغنى عنك سجل الوليد والحوانيت حوانيته ، وقد قامت له البينة عليها ! ·· خل له الحوانيت ··

فقام روح والحمصى منصرفين ·· فهدد روح الحمصى فرجع هذا الى عمر وأنبأه أن روحا يتوعده ·· فقال عمر لكعب وهو على الحرس :

ـ اخرج الى روح يا كعب ·· فان سلم اليه حوانيته فذلك وان لم يفعل فائتنى برأسه ··

فخرج بعض من سمع ذلك ومن يعنيه أمر روح بن الوليد فذكروا له الذى أمر به عمر فخلع فؤاده ·· فلما خرج اليه كعب وقد سل من السيف شبرا وقال له : قم فخل له حوانيته

☆☆☆

قال : نعم ، نعم . وخلى له حوانيته

* * *

هذه الحوادث وأمثالها ملأت بنى أمية سخطا على عمر فاحتجوا عند بابه يريدون الاذن بالدخول عليه ليكلموه فى أجورهم فوجدوا عنبسة بن سعيد بن العاص ، يريد أن يكلم عمر فى عطية قدرها عشرون ألف دينار كان قد أمر بها سليمان ولم تصرف له بعد . وكان عنبسة صديقا لعمر بن عبد العزيز فقال بنو أمية :

ـ ننظر ماذا يصنع بعنبسة قبل أن نكلمه .. فقالوا له :

ـ أعلم أمير المؤمنين بمكاننا .. فدخل عنبسة على عمر فقال له :

ـ يا أمير المؤمنين ، ان أمير المؤمنين سليمان كان قد أمر لى بعشرين ألف دينار حتى انتهت الى ديوان الختم ، ولم يبق الا قبضها فتوفى على ذلك .. وما بينى وبينه أعظم مما كان بينى وبين أمير المؤمنين سليمان ..

قال له عمر : كم ذلك .. ؟

قال : عشرون ألف دينار .. قال عمر

ـ عشرون ألف دينار تغنى أربعة آلاف بيت من المسلمين أأدفعها الى رجل واحد ؟! .. والله ما لى الى ذلك من سبيل !

ولم يكن عنبسة أحسن حظا بالنسبة لبنى أمية .. فقد قال عنهم لعمر :

ـ ان بنى أبيك بالباب يعتبون عليك فى الدنانير القليلة التى بعثتها الى كل منهم وكلمونى أن أخبرك أنهم سخطوها

وأخبره أن يزيد بن عبد الملك قال : كأنه يظن أنى لا أكون من بعده ٠٠ فقال عمر :

ـ قل لهم : ان عمر يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : أقسم بالله الذى لا اله الا هو ما زلت الليلة الماضية ساهرا أناجى الله وأستغفره ، حيث أعطيتكموها دون المسلمين ، فلا والله لا أعطيكم درهما الا أن يأخـــذ جميع المسلمين ٠٠ وأما أنت يا يزيد فاذا وليت الأمور فشأنك بها ٠٠ !

فخـــرج عنبة وقال : أنتم فعلتم بأنفسكم ٠٠ عمـــدتم الى صاحبكم (يعنى عبد العزيز بن مروان) فزوجتموه بنت ابن عمر ، فجاءتكم بعمر ملفوفا فى ثيابه ، فلا تلوموا الا أنفسكم !

وازداد سخط بنى أمية ، وضجوا من الفقر الذى أوصلهم اليه عمر ، فاجتمعوا اليه ولكنه ردهم فقالوا :

ـ انك قد أحييت بيت مال المسلمين ، وأفقرت بنى أبيك ، فيما ترد من هذه المظالم ، وهذا أمر قد وليه غـــيرك قبلك ، فدعهم وما كان منهم ، واشتغل أنت وشأنك واعمل بمـــا رأيت ٠٠

فقال عمر :

ـ ولكنى لا أرى ذلك ، والله لوددت أن لا تبقى فى الارض مظلمة الا رددتها ، على شرط أن لا أرد مظلمة الا سقط لهـــا عضو من أعضائى ، حتى يكون مع رد آخر مظلمة منها خروج نفسى معها ٠٠

فخرجوا من عنده يائسين ، فدخلوا على عمر بن الوليد

وكان كبيرهم .. فسألوه أن يكتب لعمر يوبخه لعله أن يرده عن مساءتهم فكتب اليه :

« انك قد أزريت بمن كان قبلك من الخلفاء ، وسرت بغير سيرتهم ، وسميتها المظالم نقصا لهم ، وعيبا لأعمالهم وشنانا لمن بعدهم من أولادهم ، قطعت ما أمر الله به أن يوصل ، وعملت بغير الحق فى قرابتك ، اذ عمدت الى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيت المال ظلما وعدوانا .. فاتق الله يا ابن عبد العزيز ، وراقبه ان شططت لم تطمئن على منبرك ان خصصت ذوى قرابتك بالقطيعة والظلم ، لقد ازددت من الله بعدا فى ولايتك هذه ، اذ زعمت أنها عليك بلاء وهى كذلك .. فاقصد فى بعض ميلك وتحاملك .. »

فرد عليه عمر بن عبد العزيز بقارص الكلام وقاسى العبارة اذ كتب :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى ابن الوليد .. سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد .. فان أول أمرك يا ابن الوليد فأمك (بنانة)أمه السكونى كانت تدخل دور حمص وتطوف حوانيتها ثم الله أعلم بها ، فاشتراها دينار بن دينار من فىء المسلمين فأهداها لأبيك ، فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود . ثم نشأت فكنت جبارا عنيدا ، تزعم أنى من الظالمين وأنى حرمتك وأهل بيتك من مال المسلمين الذى فيه حق القرابة والضعيف والمسكين وابن السبيل .. أهاجرت - ثكلتك أمك - أم بايعت بيعة الرضوان فتستوجب سهام

المقاتلين .. رويدك يا ابن بنـــانة .. لو التقت عليك حلقتا البطان وطالت بى حياة ورد الله الحق الى أهله وأخذتم فى بنيات الطريق .. ومما وراء هذا من الفضل ما أرجو أن أكون رأيته ببيع رقبتك وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين ، فان لكل فيك حقا .. والسلام علينا ، و لاينال سلام الله الظالمين ..

ورغم حرمان عمـر أهله ، وأصحاب الثروات والقطائع من قطائعهم وثرواتهم كان الجميع يذكرونه بالفضل والخير .. وبعد أن مات وتولى يزيد بن عبد الملك ثم هشام بن عبد الملك وعادت الامور الى ما كانت عليه من قبل عمر ، وردت الاموال والقطائع لمن أخذت منه .. أتى رجل هشام بن عبد الملك وهو خليفة فقال :

ـ يا أمير المؤمنين .. ان عبد الملك أقطع جدى قطيعة فأقرها الوليد وسليمان حتى اذا استخلف عمر ـ رحمه الله ـ نزعها فقال له هشام : أعد مقالتك فقال : يا أمير المؤمنين ان عبدالملك أقطع جدى قطيعة فأقرها الوليد وسليمان ، حتى اذا استخلف عمر ـ رحمه الله ـ نزعها (مكررا عبارة رحمه الله) فقـــال هشام :

ـ والله ان فيك عجبا ـ انك تذكر من أقطع جدك القطيعة ، ومن أقرها فلا تترحم ، وتذكر من نزعها فتترحم عليه .. انا قد أمضينا ما صنعه عمر رحمة الله عليه !

***

خبز لكل جائع .. وعدل لكل مظلوم

قال عمر :

« ان لى نفسا تواقة ، لقد رأيتنى وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان ثم تاقت نفسى الى العلم بالعربية والشعر فأصبت منه حاجتى ، وما كنت أريد .. ثم تاقت نفسى الى السلطان فاستعملت على المدينة .. ثم تاقت نفسى وأنا فى السلطان الى اللبس والعيش الطيب فما علمت أن أحدا من أهل بيتى ولا غيرهم كان فى مثل ما كنت فيه .. ثم ابتليت بالخلافة وهى شرف الدنيا فأردت بها شرف الآخرة .. ! »

وعندما تولى عمر الخلافة كانت غلته تبلغ أربعين ألف دينار أو تزيد ، ولم تتجاوز عند وفاته مائتى دينار .. !

وكان ينفق على أهله فى غدائه وعشائه فى كل يوم درهمين اثنين .. ولم يبن منذ ولى الخلافة لنفسه بناء جديدا ، ولم يحدث فى خلافته دابة ولا امرأة ولا جارية حتى لحق الله ..

لقد ورث عمر أمبراطورية مترامية الاطـــراف كانت أعظم الامبراطوريات ، وكانت أغناها فالاموال كانت تجبى للدولة من الامصار فى مختلف بقـــاع المعمورة ـ وامتـــلأ بيت مال المسلمين وتضخم ، وكان عمر يستطيع أن يوسع على نفســه وأهله دون أن يضر بيت المال شيئا مذكورا . ولكنه حرم على نفسه أن يتقاضى درهما واحدا من أموال المسلمين ، بل انه تنازل عن أملاكه الى بيت المال .. ولم يكن عمر يجمع الاموال والضرائب ليكدس بها بيت المال ، وانما ليصرفها فى وجوه

الخير ولوازم العدل ، ولقد قام فى الناس يوم الجمعة فقال

« أيها الناس .. انى أنساكم ها هنا وأذكركم فى بلادكم .. فمن أصابته مظلمة من عامله فلا اذن له على .. ومن لا فلا أرينه .. وانى والله ان منعت نفسى وأهل بيتى هـــذا المال فاضننت به عنكم انى اذن لضنين .. أيها الناس انى لست بخازن .. ولكنى انما أضع حيث أمرت .. ! »

فكان يقتر على نفسه ليوسع على غيره ، وكان يقتطع من أهله ليفرق على أفراد شعبه كان يحرم الاغنياء ليعطى الفقراء . وكان يأخذ من القادرين ليسد حاجة العاجزين ..

* * *

قدم على عمر أحد أهل المدينة فجعل يسأله عن أهلها وحالها ومن بين أسئلته قال عمر :

ـ ما فعل المساكين الـــذين كانوا يجلسون فى مكان كذا وكذا ؟ .. قال الرجل :

ـ قد قاموا عنه يا أمير المؤمنين وأغناهم الله .. وكان من بين أولئك المساكين من يبيع الحنط للمسافرين (لتأكلـــه ماشيتهم) فالتمس ذلك منهم بعد ، فقالوا : قد أغنانا الله عن بيعه بما يعطينا عمر ..

وقال ثقة انما ولى عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهرا ، فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول : اجعلوا هذا حيث ترون فى الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع الرجل بماله .. قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ..

obeikandl.com

قال يحيى بن سعيد :

— بعثنى عمر بن عبدالعزيز على صدقات افريقية فاقتضيتها وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقـــيرا ، ولم نجد من يأخذها منى ، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس فاشتريت بها رقابا فأعتقتهم ٠

وكان عدل عمر يمتد الى مختلف الامصار ، ويشمل الصغير والكبير ويهتم بكل شكوى تأتيه ، وكان البريد يحمل اليـــه الكتب من كل البلاد ، فجاءه مرة كتاب من مصر من (فرتونة) السوداء ٠٠ مولاة ذى أصبح ٠٠ وذكرت فيه أن لها حائطا قصيرا ، وأنه يقتحم عليهـــا منه فيسرق دجاجها ٠ فكتب عمر :

« بسم الله الرحمن الرحيم ٠٠ من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى فرتونة مولاة ذى أصبح ٠٠ بلغنى كتابك وما ذكرت من قصر حائطك ، وانه يدخل عليك منه فيسرق دجاجك ، فقد كتبت لك كتابا الى أيوب بن شرحبيل — وكان عامله على مصر — آمره أن يبنى لك ذلك حتى يحصنه مما تخافين ان شاء الله ٠٠ والسلام)

وكتب الى أيوب بن شرحبيل

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى ابن شرحبيل — أما بعد فان فرتونة مولاة ذى أصبح كتبت الى تذكر قصر حائطها وأنه يسرق دجاجها ونسأل تحصينه لها ٠٠ فاذا جاءك كتابى هذا فاركب أنت بنفسك حتى تحصنه لها ٠)

فلما جاء الكتاب الى أيوب ركب ببدنه حتى أتى الجيزة ٠

يسأل عن فرتونة حتى وجدها فرآها سوداء مسكينة فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين فيها وحصن لها دارها ..

* * *

المجـــادلة ..

وكان الخوارج قبل عمر ، يقتلون وينكل بهم أشد تنكيل فلما جاء عمر ، رأوا من عدله وحسن سيرته ما أسكتهم وأرضى نفوسهم الثائرة التى جبلت على المعارضة والمحاجة والخـروج على أوضاع الدولة وأنظمتها .. ولكن بعض الخوارج خرجوا عليه فى العراق .. فكتب الى عامله بالكوفة :

ـ لا تحركهم الا أن يسفكوا دما أو يفسدوا فى الارض ، فان فعلوا فخل بينهم وبين ذلك ، وانظر رجـلا صـــليبا حازما ، فوجهه اليهم ووجه معه جندا ، وأوصه بما أمرتك ..

فبعث محمد بن جرير فى ألفين .. وكتب عمر الى رئيس الخارجة واسمه بسطام .. فوصل اليه كتاب عمر وقد قدم عليه محمد بن جرير فى رجاله .. وقال عمر فى كتابه :

ـ بلغنى أنك خرجت غضبا لله ولنبيه . ولست أولى بذلك منى فهلم أناظرك ، فان كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس .. وان كان فى يدك نظرنا فى أمرنا .. !

فكتب بسطام :

ـ قـــد أنصفت ! وفـــد بعثت اليك رجلين يدارسانك ويناظرانك ..

فلما وصل هذان الرجلان الى عمر ناظراه فجرى بين عمر وبينهما أو بين المتكلم منهما حديث طريف :

عمر — ما أخرجكم هذا المخرج وما الذي نقمتم .. ؟

— ما نقمنا سيرتك ! .. انك لتتحرى العدل والاحسان ، فأخبرنا عن قيامك بهذا الامر .. أعن رضا عن الناس ومشورة أم ابتززتم أمرهم .. ؟

عمر — ما سألتهم الولاية عليهم ولا غلبتهم عليها .. وعهد الى رجل كان قبلي ولم ينكره على أحد ولم يكرهه غيركم وأنتم ترون الرضا بكل من عدل وأنصف فاتركوني ذلك الرجل .. وان خالفت الحق ورغبت عنه فلا طاعة لي عليكم .

— بيننا وبينك أمر واحد .. رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم .. فان كنت على هدى وهم على ضلالة فالعنهم وابرأ منهم . !

عمر — قد علمت أنكم لم تخرجوا طلبا للدنيا ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها .. ان الله لم يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم لعانا .. وليس لعن أهل الذنوب فريضة لابد منها .. فان قلتم أنها فريضة . فأخبرني أيها المتكلم متى لعنت فرعون .. ؟

— ما أذكر متى لعنته ..

— أفيسعك أن لا تلعن فرعون وهو أخبث الخبائث وأشرهم ولا يسعني الا أن ألعن بيتي وهم مصلون صائمون .

- فابرأ مما خالف عملك ورد أحكامهم .. قال عمر
- أخبرنى عن أبى بكر وعمر .. أليسا على حق ؟
- بلى .. !
- أتعلم أن أبا بكر حين قاتل أهل الردة سفك دماءهم وسبى الذرارى وأخذ الاموال .. ؟
- بلى .. !
- أتعلم أن عمر رد السبايا بعده الى عشائرهم بفدية ؟
- نعم ..
- فهل برىء عمر من أبى بكر .. ؟
- لا ..
- أفتبرأون أنتم من واحد منهما .. ؟
- لا .. قال عمر :
- فأخبرونى عن أهل (النهروان) وهم أسلافكم .. هل تعلمون أن أهل الكوفة خرجوا اليهم فكفوا عنهم أيديهم ولم يسفكوا دما ولم يأخذوا مالا ، فلما خرج اليهم أهل البصرة استعرضوا فقتلوهم ، وعرضوا لعبد الله بن خباب صاحب رسول الله ، فقتلوه وقتلوا جاريته وهى حامل ثم صبحوا حيا من العرب فقتلوا الرجال والنساء والولدان حتى جعلوا يلقون الاطفال فى القدور وهى تفور بهم ..
- قد كان ذلك ..
- فهل برىء أهل الكوفة من أهل البصرة أو أهل البصرة من أهل الكوفة .. ؟
- لا ..

- فهل تبرأون أنتم من طائفة منهما .. ؟

- لا .. قال عمر :

- أفيسعكم أن تتولوا أبا بكر وعمر وأهل البصرة وأهل الكوفة وقد علمتم اختلاف أعمالهم ، ولا يسعني بزعمكم الا البراءة من أهل بيتي ، والدين واحد فاتقوا الله فانكم جهال .. تقبلون من الناس ما رد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتردون عليهم ما قبل .. ويأمن عندكم من خان عنده ، ويخاف عندكم من أمن عنده ..

- ما نحن بذلك ..

- بلى .. تقرون به الآن .. أفلستم أنتم اليوم تبرأون ممن يخلع الاوثان ومن يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وتلعنونه وتقتلونه وتستحلون دمه .. بينما يأمن عندكم أهل سائر الاديان فتحرمون دماءهم وأموالهم .. ؟!

فقال أحد الخارجين :

- ما أحسن ما قلت ، وما أحسن ما وصفت ، ولكن أكره أن أفتات على المسلمين بأمر لا أدرى ما حجتهم فيه حتى أرجع اليهم ، فلعل عندهم حجة لا أعرفها ..

أما الثاني فقال :

- ما رأيت حجة أبين ولا أقرب مأخذا من حجتك ، أما أنا فأشهد انك على الحق وأنني برىء ممن خالفك ..

* * *

سب علي ..

هذا ما كان من عمر مع الخوارج فماذا كان منه ازاء علي بن أبي طالب وأتباعه .. ؟

كان بنو أمية لا يقبلون ذكر علي في مجالسهم ، ويسبونه على المنابر في كل خطبهم ، أما عمر بن عبد العزيز فقد روى أن القوم تذاكروا الزهاد عنده يوما ، فقال قائلا : فلان ، وقال قائلون : فلان .. فقال عمر بن عبد العزيز :

ـ أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب .

وتقدم رجل الى عمر وهو يعطي الناس ، فقال له عمر :

ـ ممن أنت .. قال الرجل :

ـ من قريش .. قال عمر :

ـ من أي قريش ؟ .. قال الرجل :

ـ من بني هاشم .. فسأله عمر :

ـ من أي بني هاشم ؟ .. فسكت الرجل . فكرر عمر عليه السؤال ، فأجاب :

ـ مولى علي بن أبي طالب .. فقال عمر :

ـ يا مزاحم .. كم تعطى مثله . قال مائة درهم .. قال عمر :

ـ أعطه خمسين دينارا لولايته لعلي بن أبي طالب !

★ ★ ★

ووفد زريق ، مرثى علي بن أبي طالب على عمر بن عبد العزيز فقال :

— يا أمير المؤمنين .. انى رجل من أهل المدينة وقد حفظت القرآن وليس لى ديوان . قال عمر :

— يرحمك الله ، من أى الناس أنت .. ؟ قال الرجل :

— رجل من موالى بنى هاشم .. قال عمر :

مولى من ؟ .. فقال : رجل من المسلمين .

فصاح عمر : أتكتمنى من أنت ؟ فأسر زريق اليه قائلا

— أنا مولى على بن أبى طالب — وكان بنو أمية لا يذكر على بين أيديهم . فبكى عمر ثم قال :

— وأنا مولى على ، أتكتمنى ولاء على .. ؟

ولقد ترك عمر منذ أن كان صبيا ،ماكان عليه قومه من سب على والأخذ منه وسبب ذلك أنه كان يتأدب فى المدينة وهو غلام صغير ، وكان يلزم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، فبلغه عن عمر شىء من سبه عليا .. فأتاه عمر يوما وهو يصلى ، فكلما فرغ من صلاته التفت اليه وقال :

— متى علمت أن الله غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضى عنهم .

قال عمر :

— لم أسمع بذلك .. قال عبد الملك :

— فما الذى بلغنى عنك فى على ؟ قال :

— معذرة الى الله واليك .. ومنذ ذلك اليوم ، وعمر لايذكر عليا الا بالخير . وكان أبوه عبد العزيز بن مروان ، اذا خطب فنال من على تلجلج فقال عمر لأبيه :

— يا أبت : انك تمضى فى خطبتك ، فاذا أتيت على ذكر

على عرفت منك تقصيرا قال عبد العزيز :

ـ أو فطنت لذلك ٠٠ ؟ قال عمر

ـ نعم ٠٠ قال أبوه :

ـ يا بنى ان الذين حولنا لا يعلمون من على ما نعلم تفرقوا عنا الى أولاده ٠٠ !

فلما ولى عمر الخلافة ، منع أن يرتكب ما كان يرتكب فى حق على ، وأمر بترك سبه على المنابر ، وكان الخلفاء والخطباءمن قبله يختتمون خطبة الجمعة بالتهجم على (على) بن أبى طالب والنيل منه ٠٠ فأمر بمنع ذلك فى البلاد ٠ وقرأ عوضا عنه: (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) ٠

وقال كثير عزه فى هذا العمل النبيل

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف
٠ ٠ ٠ بريا ولم تتبع مقال مجرم
تكلمت بالحق المبين وانما
٠ ٠ ٠ تبين آيات الهدى بالتكلم
وقلت فصدقت الذى قلت بالذى
٠ ٠ ٠ فعلت فأضحى راضيا كل مسلم

العطف الشامل

وحقا لقد صدق (كثير) فى أن كل مسلم أصبح راضيا ولكن عدل عمر لم يقتصر على المسلمين فقط ٠٠ بل شمل الذميين من رعيته ٠٠

أمر عماله بالرفق بأهل الذمة ، واذا كبر الرجل منهم وليس له مال تنفق عليه الدولة .. وكتب اليه والى الكوفة ، أنه بقى لديه من بعض العطيات كثير من المال فكتب اليه عمر :

- قو أهل الذمة ، فانا لا نريدهم لسنة ولا لسنتين .. وفى رواية أخرى

- أنظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوى به عمل أرضه فانا لا نريدهم لعام ولا لعامين .. ورغم أن عمر كان يرى توظيف المسلمين بدل الذميين عندما رأى كثرتهم فى الدواوين ، ورغم ما روى عنه أنه ألزم النصارى بهيئة خاصة يرتدونها الا أنه كان يعطيهم حقوقهم كاملة .

وشكا عجم أهل دمشق الى عمر فى كنيسة كان رجل أقطعها لبعض المسلمين فى دمشق . فأخرجها عنهم وردها الى النصارى .. وشكا نصارى دمشق أن الوليد هدم كنيسة يوحنا ، وأدخلها فى المسجد الأموى ، فهم أن يعيدها اليهم ، لولا أن المسلمين أقبلوا عليه النصارى فسألوهم أن يعطوا كنائس الغوطة على أن يتنازلوا عن كنيسة يوحنا ، فرضوا بذلك ووافقوا عليه ، وأعلم عمر بذلك فسره وأمضاه .. وبهذا العدل المتنشر دخل الذميون فى دين الله أفواجا .

***

وكتب اليه عامله على مصر (ان أهل الذمة قد أسرعوا الى الاسلام وكسروا الجزية ، حتى استلفت من الحارس بن ثابتة عشرين ألف دينار لأتمم بها عطاء أهل الديوان .. وطلب والى

مصر الى عمر أن يأمر بتوقيف الذميين عن انتحال الاسلام ؟ فأجابه عمر :

— قد وليتك جند مصر ، وأنا عارف بضعفك ، وقد أمرت رسولى بضربك على رأسك عشرين سوطا ·· فضع الجزية عمن أسلم ، قبح الله رأيك ، فان الله انما بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا ·· »

وكتب اليه عامله على العراق عدى بن أرطأة يقول :

— ان الناس قد كثروا فى الاسلام حتى خفت أن يقل الخراج فكتب اليه عمر يقول :

— والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين ، نأكل من كسب أيدينا ·· !

★★★

وهكذا شمل عدل عمر ، غير المسلمين ·· بل لقد وسع عدله الناس جميعا ·· فأبطل السخرة ، وزاد الناس أموالا وخيرات ، وورد كتابه على عامله فى مصر بالزيادة فى أعطيات الناس عامة ، وجعل للفلاحين خاصة عشرات الألوف من الدنانير ·· ورفع عن الناس كثيرا من الضرائب والمكوس التى حملوها من قبله ·· بل شمل عطفه الضاربين فى أعماق الأرض ، فمهد لهم الطرقات ، وأنشأ لهم الخانات ليستريحوا فيها عند كل مرحلة يوما أو يومين ··

وشمل عطفه المرضى · وذوى العاهات فأمر باحصائهم جميعا وأمر بقائد لكل أعمى وبخادم لمن به زمانه تحول بينه وبين

القيام الى الصلاة ، واتخذ (مطاعم الشعب) للمساكين والفقراء وابن السبيل ، وأوصى ألا يصيب أحد من هذه الدور شيئا من طعامها لأنه خاص بمن طبخ لهم ·· بل لقد شمل عطفه السجناء في سجونهم ، فأمر بأن تؤخذ المواثيق في أمر المفسدين منهم ، ويكتب لهم برزق الصيف والشتاء ،ويعاهد المريض منهم ممن لا أهل له ولا مال ·· ولا يجمع في السجون بين قوم حبسوا في دين وبين الاشرار في حبس واحد ··· وجعل للنساء حبسا على حدة ·· بل لعله من جراء هذه المعاملة الطيبة للسجناء في عهده أصبح يزيد بن المهلب في سجنه الذى سجنه عمر فيه راضيا عنه · وعندما علم بمرضه خاف أن يموت فيقتله خلفه يزيد بن عبد الملك الذى كان يحمل له الكراهية والعداء ، فهرب بن المهلب الى البصرة وكتب الى عمر:

انى والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك ولكنى خفت ان يلى يزيد فيقتلنى شر قتله ·· وورد الكتاب وبعمر رمق ·

وتوفى عمر ، وتولى يزيد بن عبد الملك ، وثار ابن المهلب في البصرة ضده وقال : أدعو الى سيرة عمر بن عبد العزيز ·· وقتل بن المهلب فى هذه الدعوة ·

بل لقد جاوز عطف عمر بنى الانسان ، وامتد الى الحيوان، فاهتم بالرفق به وأصدر أوامره بذلك فى البلاد ··

كتب الى مدير السكك والطرقات أنه لايحمل حيوان بأحمال ثقيلة ، ولا ينخس بمقرعة فى أسفلها حديدة ! · وكتب الى عمر بن حيان بمصر :

أنه بلغني أن بمصر ابلا للنقل يحمل على البعير منها ألف رطل .. فاذا أتاك كتابى هذا فلا يجب أن يحمل على البعير الا ستمائة رطل ..

وكان لعمر بن عبد العزيز غلام على بغل له يأتيه بدرهم كل يوم ، فجاءه يوما بدرهم ونصف .. فسأل الغلام عن سبب هذه الزيادة فى الايراد ! فقال الغلام :

راجت السوق .. قال عمر :

ـ لا .. ولكنك أتعبت البغل .. أرحه ثلاثة أيام ..

أمجنون أنت

أحب الناس عمر لأنه أحبهم،وعاملهم أحسن معاملةوتواضع لهم ، وكان فيهم كواحد منهم ، يتبسط معهم فى غير تكلفة ولا تعمل .

ناداه رجل فقال : يا خليفة الله فى الأرض .. فقال له عمر :

ـ مه .. انى لما ولدت اختار لى أهلى اسما فسمونى عمر فلو ناديتنى يا عمر أجبتك فلما كبرت اخترت لنفسى الكنى فكنيت بأبى حفص فلو ناديتنى يا أبا حفص أجبتك فلما وليتمونى أموركم سميتمونى أمير المؤمنين ، فلو ناديتنى ياأمير المؤمنين أجبتك . وأما خليفة لله فى الارض فلست كذلك ..

وحكى عنه انه قال لجارية له روحينى .. فأقبلت تروحه فغلبتها عينها فقامت فأخذ المروحة واقبل يروحها ، فانتبهت فصاحت .. فقال لها عمر :

ـ انما أنت بشر مثلى ، أصابك من الحر ما أصـــابنى وأحببت أن أروحك مثل الذى روحتنى ! ..

وكان عنده قوم ذات ليلة ، فغشى سراجه فقام اليه فأصلحه بنفسه فقيل له :

ـ يا أمير المؤمنين : ألا نكفيكه ؟ قال :

ـ ما ضرنى ؟ قمت وأناعمر بن عبدالعزيز ورجعت وأنا كذلك وليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه .. !

وكان لعمر ابن خرج يلعب مع الغلمان فشجه غلام آخر فاحتملوا ابن عمرو الذى شجه فأدخلوهما على فاطمة فسـمع عمر الجلبة فجاء .. وقدمت أم الغلام فقالت :

ـ انه ابنى وهو يتيم .. فقال عمر : أله عطاء .. ؟قالت: لا . قال :

ـ أكتبوه فى الذرية وخصص له مالا .. فرأت فاطمة زوجة عمر أن الغلام كوفىء على شجه ابنها فقالت له :

ـ فعل الله به وفعل ان لم يشجه مرة أخرى .. ! فقال عمـــر :

ـ انكم أفزعتموه .. !

وغضب عمر يوما على رجل غضبا شديدا .. فجاء به وجره ومده فى الحبال .. ثم جاء بالسياط حتى اذا ظن الحاضرون أنه ضاربه قال :

ـ خلوا سبيله .. لولا أنى غضبان لأسأته وقرأ (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس . الآية)

ومن طريف ما حدث له ، مما يدل على صفاء نفسه ، وسمو روحه ، أنه بينما كان على المنبر ، اذ قام رجل فقال :

ـ أشهد أنك من الفاسقين ٠٠ فقال عمر :

ـ وما يدريك وأنت شاهد زور لاتجوز شهادتك !

وخرج ليلة ومعه أحد الحراس ، فدخل المسجد ، فمر فى الظلمة برجل نائم فعثر به ، فرفع رأسه اليه فقال :

ـ أمجنون أنت ٠٠ ؟ قال عمر :

ـ لا ٠٠ فهم به الحارس فقال له عمر :

ـ مه ، انما سألنى أمجنون أنت ! فقلت : لا !

★★★

وفود الشعراء

ومن طريف ما يروى معاملة عمر للشعراء ٠٠

خطب عمر بن عبد العزيز فى أول حكمه فقال :

« أيها الناس : من صحبنا فليصحبنا بخمس والا فلايقربنا يرفع الينا حاجة من لايستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير جهده ، ويدلنا من الخير على ما لانهتدى اليه ، ولا يغتابن عندنا الرعية ولا يعترض فيما لا يعنيه »

فثبت عنده الزهاد والفقهاء ، وانقشع عنه الخطباء والشعراء ٠٠ وروى أن الشعراء وفدت الى عمر عندما استخلف ، كما كانت تفد الى الخلفاء من قبله فأقاموا ببابه أياما لا يأذن لهم بالدخول ٠٠ فبينما هم كذلك وقد أزمعوا على الرحيل اذ مر

بهم رجاء بن حيوة ، فلما رآه جرير داخلا على عمر بن عبد العزيز أنشأ يقول :

يا أيها الرجل المرخى عمامته ·· هذا زمانك فاستأذن لنا عمر!

فدخل رجاء ، ولم يذكر من أمرهم شيئا ، ثم مر بالشعراء عدى بن أرطأة وهو داخل على عمر وكانت له منه مكانة فقال جرير :

يا أيها الرجل المزجى مطيته ·· هذا مزانك انى قد مضى رمضى أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه ·· انى لدى الباب كالمصفود فى قرن لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة ·· قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى

فلما دخل عدى على عمر قال :

— يا أمير المؤمنين — ان الشعراء ببابك ، وأقوالهم نافذة ، وسهامهم مسمومة قال عمر :

— ويحك يا عدى ما لى وللشعرا ! ·· قال عدى :

— يا أمير المؤمنين ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قد مدح وأعطى ، ولك أسوة ·· فسأله عمر :

— ومن مدحه ؟ ··

— العباس بن مرداس ، فأعطاه حلة قطع بها لسانه ··

— أو تروى من قوله شيئا ··؟

— نعم ·· وأنشد :

رأيتك يا خـــير البرية كلها　　نشرت كتابا جاء بالحق معلما
وطهرت بالتبيان أمرا مدنسا　　واطفأت بالبرهان نارا مضرما
فمن مبلغ عنى النبى محمدا　　وكل امرىء يجزى بما كان قدما
تعالى علوا فوق عرش الهنا　　وكل مكان الله أعلى وأعظما

قال عمر : صدقت ، فمن بالباب منهم ·· قال عدى :

ـ عمر بن أبى ربيعة ·· قال عمر :

ـ أليس هو القائل :

ألا ليت انى يـــوم حانت منيتى
شممت الذى بين عينيك والفم
وليت طهـــورى كان ريقك كله
وليت حنوطى من مشاشك والدم
ويا ليت سلمى فى القبور ضجيعتى
هنـــالك أوفى جنـــة أو جهنم

فليته والله تمنى لقاءها فى الدنيا ويعمل عملا صالحا ، والله لا يدخل على أبدا ·· فمن بالباب سواه ؟ ·· قال عدى :

ـ كثير عزة ·· قال عمر : أليس يقول :

رهبان مدين والذين عهدتهم　　يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها　　خروا لعزة راكعين سجودا

ـ أعزب به ، فمن بالباب غير من ذكرت ؟ ·· قال عدى :

ـ الأحوص الانصارى ·· قال عمر :

- أبعده الله وأمحقه ، أليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جارية هربت منه :

الله بيني وبين سيدها يفر عني بها وأتبعه

أعزب به ، فمن بالباب غير من ذكرت ؟ .. قال عدى :

- همام بن غالب (الفرزدق) .. قال عمر : أليس هو القائل :

همـا دلتاني من ثمـانين قامة
كما انقض باز أكتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى في الارض قالتا
أحي يرجى أم قتيل نحـاذره

أعزب به فوالله لا دخل على أبدا . فمن سواه ؟ قال عدى : الأخطل .. قال عمر : أليس هو القائل :

فلست بصائم رمضان طوعا ولست بآكل لحم الضواحى
ولست بزائر بيتـا بعيدا بمكة أبتغى فيه صـلاحى
ولست بقائم كالعير يدعو قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربهـا شمـولا وأسجد عند منبلج الصباح

أعزب به ، فوالله لا يدخل على وهو كافر أبو .. فهل بالباب سوى من ذكرت ؟ .. قال عدى :

- نعم ، جرير .. قال عمر : أليس هو القائل :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد ، فأذن لجرير . فخرج اليه عدى وقال : ادخل يا أبا حرزة ، فدخل جرير وهو يقول :

ان الذى بعث النبى محمدا ... جعل الخلافة للامام العادل
وسع الخلائق عدله ووفاؤه ... حتى ارعوى وأقام ميل المائل
انى لارجو منك خيرا عاجلا ... والنفس مولعة بحب العاجل

فلما مثل بين يديه قال له عمر :

- اتق الله يا جرير ولا تقل الا حقا فأنشأ يقول :

كم بالیمامة من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدك تكفى فقد والده ... كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به ... خبلا من الجن أو مسا من البشر
خليفة الله ماذا تأمرون بنا ... ليسنا اليكم ولا فى دار منتظر
ما زلت بعدك فى هم يؤرقنى ... قد طال فى الحى اصعادى ومنحدرى
انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر
هذى الأرامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا ... بورکت يا عمر الخيرات من عمر

فقال عمر :

— يا جرير ، ما أرى لك فيما هنا حقا ·· قال :

— بلى يا أمير المؤمنين ، أنا ابن السبيل ومنقطع بى ·· فكان قد بقى معه مائة درهم ، فأعطاها له فأخذها جرير وقال :

— والله لهى أحب ما اكتسبته من مال ·· !

ثم خرج فقال له الشعراء :

— ما وراءك ؟ ·· قال لهم :

— ما يسوؤكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطى الفقراء ويمنع الشعراء ، وانى عنه لراض ، وأنشأ يقول :

رأيت رقى الشعر لا تستفزه

وقد كان شيطانى من الجن راقيا

فى بيتـــه ···

كتب عمر بن عبد العزيز الى مؤدب أولاده فقال :

« أما بعـــد ، فانى اخترتك على علم منى بك لتأديب ولدى فصرفتهم اليك عن غيرك من موالى وذوى الخاصة بى ، فحدثهم بالجفاء فهو أمعن لاقدامهم ، واترك الضحكة فان عادتها تكسب الغفلة ، وقلة الضحك فان كثرته تميت القلب ، وليكن أول مايعتقدون من أدبك ، بغض الملاهى التى بدؤها الشـــيطان وعاقبتها سخط الرحمن ·· وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يتثبت فى قراءته ، فاذا فرغ تناول قوسه ونبله وخرج الى الغرض حافيا فرمى سبعة أرشاق ·

وراض عمر أولاده وزوجه على التقشف والزهد ، وكان ابنه عبد الملك يدانيه زهدا وتقوى .. وكانت زوجته فاطمة رغم ما اعتادته من رغد العيش فى بيت أبيها عبد الملك تستطيب مع زوجها هذه العيشة التى امتلأت زهدا وبعدا عن المتاع والشهوات منذ ولى الخلافة ، واصطبغت بالخشونة التامة .

حدث بعد دفن سليمان ، أن تدافع الناس يبايعون عمر بن عبد العزيز ، وفى شدة الزحام تمزق جيب قميص أحد أبنائه .. فقا لله عمر : يا بنى أصلح جيب قميصك فانك لم تكن أحوج الى ذلك منك اليوم ..

ومرت أمام عمر ابنة له تدعى أمينة ، فدعاها عمر : يا أمين يا أمين .. فلم تجبه فأمر من جاء بها وهى تضم ثوبها خجلة مستحيية فقال : ما منعك أن تجيبينى ؟ .. قالت : انى عارية .. وتبين أن ثوبها قد ترقع فلم ترد أن تظهر به أمامه فقال عمر لمولاه مزاحم : انظر الى تلك الفرش التى فتقناها فاقطع لها قميصا .. فذهب انسان الى عمة لها فقال : ابنة أخيك عارية وأنت عندك ما عندك .. فأرسلت اليها ببعض الثياب وقالت : لا تطلبى من عمر شيئا ..

وصلى عمر الجمعة بالناس ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه .. فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل قد أعطاك فلو لبست ! .. فنكس عمر مليا ثم رفع رأسه وقال : ان أفضل القصد عند الجدة ..

وأبطأ عمر يوما عن الجمعة قليلا ، فعوتب فى ذلك فقال : إنما

انتظرت قميصى غسلته أن يجف ..

وكان عمر بن عبد العزيز كما وصفه بعض من رآه : دقيق الوجه حسنه ، نحيف الجسم ، حسن اللحية ، غائر العينين ، وكانت ثيابه كلها تقوم وهو خليفة باثنى عشر درهما ..

دخل أبو أمية غلام عمر بن عبد العزيز يوما على مولاته فاطمة فغدته عدسا فقال :

- كل يوم عدس ! .. قالت :

- يا بنى هذا طعام ولاك أمير المؤمنين ..

وكان له غلام وبرذون (حيوان بين البغل والحمار) يغل عليه فسأل الغلام يوما عن حاله فقال :

- الناس كلهم بخير الا أنا وأنت وهذا البرذون ، قال :

- اذهب فأنت حر .

وبعثت اليه ابنته بلؤلؤة وقالت له : ان رأيت أن تبعث لى بأخت لها أجعلها فى أذنى .. فأرسل اليهـــا بجمرتين ثم قال لها : ان استطعت أن تجعلى هاتين الجمرتين فى أذنيك بعثت اليك بأخت لها ..

وكان عمر يحادث زوجه فاطمة فى أحد الأيام .. وقد ذكر تلك المدة السعيدة التى قضياها سويا فى دابق (من مقاطعة قنسرين حيث توفى سليمان) فضرب عمر على كتف زوجتـه وقال :

- يا فاطمة لنحن بليالى دابق أنعم منا اليوم .. فقالت :

- والله ما كنت على ذلك أقدر منك اليوم ، فأدبر عنها وله حنين وهو يقول :

- يا فاطمة انى أخاف النار .. يا فاطمة (انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم)

وبلغ عمر ان بعض أولاده اتخذ خاتما واشترى له فصا بألف درهم . فكتب اليه :

« أما بعد ، فقد بلغنى انك اشتريت فصا بألف درهم فبعه واشبع به ألف جائع ، واتخذ خاتما من حديد واكتب عليه : (رحم الله امرأ عرف قدر نفسه) ..

* * *

وسئلت فاطمة بنت عبد الملك عن عبادة زوجها عمر فقالت :

- والله ما كان بأكثر الناس صلاة ، ولا أكثرهم صياما .. ولكن والله ما رأيت أخوف لله من عمر .. لقد كان يذكر الله فى فراشه ، فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتى نقول :

(ليصبحن الناس ولا خليفة لهم)

تحطيم الحانات ..

صدقت فاطمة بنت عبد الملك ، فقد كان عمر يخشى الله حق خشيته .. فلا يعمل الا بما يرضى الله ، كان يخشى الله فرد المظالم ، وأحيى الكتاب والسنة ، وسار بالعدل ورفض الدنيا وزهد فيها وتجرد لاحياء أمر الله وحمل الناس على شريعة الاسلام

وكتب الى ولاته يحض على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وليتدبر المسلمون فى جميع أنحاء الارض هذا الكتاب الذى بعث به عمر الى عماله ، وليتدبروا ما فيه من تحريض على تغيير المنكر بالقوة حتى يصلح أمرهم ويعلو ذكرهم .

قال عمر فى كتابه الى عماله مخاطبا فيهم شعبه :

« أما بعد فانه لم يظهر المنكر فى قوم ثم لم ينههم أهل الصلاح منهم ، الا أصابهم الله بعذاب من عنده أو بأيدى من يشاء من عباده ، ولا يزال الناس معصومين من العقـــوبات والنقمات ما قمع فيهم أهل الباطل ، واستخفى فيهم بالمحارم فلا يظهر من أحد محرم الا انتقموا من فعله ، فاذا ظهرت فيهم المحارم فلم ينههم أهل الصلاح نزلت العقوبات من السماء الى الارض ..

« وانه قد بلغنى أنه كثر الفجور فيكم ، وأمن الفساق فى مدائنكم ، وجاهروا من المحارم بأمر لا يحب الله من يفعله ولا يرضى المداهنة عليه ، وليس بذلك مضى أمر سلفكم ولا بذلك تمت نعمة الله عليهم ، بل كانوا (أشداء على الكفار رحماء بينهم) (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) . ولعمرى أن الجهاد فى سبيل الله . الغلظة على أهل محارم الله بالايدى والالسن والمجاهدة لهم فيه ، وان كان الآباء والأبناء والعشائر ..

« وقد بلغنى أنه بطأ بكثير من الناس الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اتقاء التلارم أن يقال : فلان حسن الخلق قليل التكلف وما يجعل الله أولئك أحسنكم أخلاقا ، بل أسوأكم .

« وأن مما على أنفسنا وأنفس أولئك مما أمر الله به من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .. فلا يظهروا لله محرما الا انتقموا ممن فعله منهم من كنتم ومن كانوا ، وقول من قال : ان لنا فى أنفسنا شغلا ولسنا من الناس فى شىء ، ولو أن أهل طاعة الله رجع رأيهم الى ذلك ما علوا لله بطاعة ، ولا تناهوا عن معصية ، ولقهر المبطلون المحقين ، فصار الناس كالانعام أو أضل سبيلا ..

« فتسلوا على الفساق من كنتم ومن كانوا .. فادفعوا بحقكم باطلهم وببصرهم عماهم ، فان الله جعل للأبرار سلطانا مبينا ، وان لم يكونوا ولاة ولا أئمة . »

* * *

وعلم عمر بن عبد العزيز أن الخمر انتشرت فى مصر وأن حاناتها مفتوحة الابواب .. فأمر فعطلت حاناتها وكسرت وحطمت دنان الخمر تحطيما .. وليس من شك أن محطميها وقتئذ كانوا يحطمونها حتى يفنوها وهم يهتفون : لله أكبر .. الله أكبر ..

الذروة ...

كذلك قضى عمر على الفساد فى مختلف الامصار ، عزل العمال الطغاة الذين غسلوا أيديهم فى دماء المسلمين ، وولى من يعرف فيهم التقوى والعدل ، وكان يتابعهم برسائله حتى ينير لهم سبيل الحكم ، ولكن فى الوقت نفسه يترك حرية التنفيذ لعامله

ويعطيه ثقته فلا يحتم عليه مشاورته الا فى مهام الامور ..

وكتب عمر الى ملوك السند يدعوهم الى الاسلام وقد كانت سيرة عمر بلغتهم فأسلم ملوك السند وتسموا بأسماء العرب ونفذ الاسلام الى نفوس الهند .. وولت شياطين الحرب ونشرت ملائكة السماء أجنحتها وصلح الراعى والرعية ومرت الدولة الإسلامية العظيمة فى أزهى عهد من عهودها ولكنه كان عهدا قصيرا خلال عامين وخمسة أشهر قضاها فى الخلافة عمر ابن عبد العزيز فكانت هذه الفترة نقطة لامعة مضيئة فى الاسلام ..

ولقد حكى أن قوما كانوا يرعون الشاة فى خلافة عمر بن عبد العزيز فكانت الشاة والذئب ترعى فى مكان واحد .. فتعجب الناس وقالوا للراعى : سبحان الله ، ذئب فى غنم لا يضرها ؟ .. فقال :

ـ اذا صلح الرأس فليس على الجسد من بأس .. وبينما هم ذات ليلة ، اذ عرض الذئب لشاة .. فقال الراعى :

ـ ما نرى الرجل الصالح الا قد هلك .. ثم تحقق الأمر فوجد أن عمر بن عبد العزيز قد مات فى تلك الليلة .. وهذه الحكاية البعيدة التصديق ليست الا حقيقة رمزية لعصر عمر بن عبد العزيز . تساوى فيه القوى والضعيف ، وعاش الجميع يظلهم الخير والعدل والاصلاح .

مرض عمر بن عبد العزيز مرض الموت ، وكان قد تجاوز التاسعة والثلاثين بشهور ، ولبث فى مرضه عشرين يوما وتوفى

فى رجب سنة ١٠١ هـ - ولما حضرته الوفاة دخل عليه مسلمة ابن عبد الملك فقال :

- يا أمير المؤمنين انك أقفرت أفواه ولدك من هذا المال فلو أوصيت بهم الى والى نظرائى من قومك تكفوك مؤونتهم .. فلما سمع عمر مقالته قال :

- أجلسونى .. فأجلسوه . فقال :

- قـــد سمعت مقالتك يا مسلمة . أما قولك : أنى أفرغت أفواه ولدى من هذا المال ، فوالله ما ظلمتهم حقا هو لهم ولم أكن لأعطيهم شيئا لغيرهم - وأما ما قلت فى الوصية فان وصيتى فيهم الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .. وانما ولد عمر بين أحد رجلين : اما رجل صالح فسيغنيه الله ، واما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمـــال على معصية الله .. أدع لى بنى ..

فأتوه ، فلما رآهم ترقرت عيناه . ولعله تذكر ابنه الورع عبد الملك الذى مات قبله شابا يافعا . وقال :

- بنفسى فتيـــة تركتهم عالة لا شىء لهم .. يا بنى انى قـــد تركت لكم خيرا كثيرا . لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم الا رأوا لكم حقا .. يا بنى : ان أباكم قد خير بين الأمرين : اما أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة ، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب اليه من أن تستغنوا ويدخل النار ، قوموا عصمكم الله .. قوموا رزقكم الله .

ولبثت فاطمة بجواره ترعاه ، فقالت له يوما : ألا أخرج عنك

عسى أن تغمض قليلا فانك لم تنم وخرجت . ثم سمعته يردد : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) .. ثم هدأ الصوت .. وكان الهدوء الاخير ..

وظلت فاطمة أمينة على عهدها ، فقيرة زاهدة ، كما عاشت مع زوجها منذ تولى الخلافة وأخذ ما معها من مال وحلى وجوهر وضمه الى بيت مال المسلمين ، ولقد أراد أخوها يزيد لما ولى الأمر بعد زوجها أن يرد لها أموالها وجواهرها وقال : أنا أعلم أن عمر ظلمك ..

ولكن فاطمة امتنعت عن أخذ شيء وقالت :

ـ ما كنت أطيعه حيا ، وأعصيه ميتا .. !

obeikandl.com